(١)

# نبذة عن شيخ الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات ربه وسلامه عليه وعلى من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

شيخ الإسلام كان علامة فارقة في تاريخ العقيدة الإسلامية، ودعوني أحدثكم . يا رعاكم الله . حديثًا مقتضبًا عن شيخ الإسلام، فهذا مفيد بين يدي هذه الرسالة.

**اسمه:** هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني.

**مولده:** ولد في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، نحو سنة ستمائة وواحد وستين، وعاش في دمشق، وقيل: ولد في العراق، ولما هجم التتار على أهل العراق احتمله أهله وهو صغير، المهم أن أسرته استقرت في دمشق.

**حياته:** كان جده المجد ابن تيمية من أساطين المذهب الحنبلي، وأبوه عبد الحليم من أهل العلم المعروفين، وإخوته كذلك، فهم أسرة علم ودين وشرف، رحمهم الله جميعًا، ثم إنه –رحمه الله– تلقى العلم عن أشياخ دمشق ونبغ في وقت مبكر وناظر وأورد من المسائل وأفحم المخالفين، وجلس للإفتاء وهو ابن تسع عشرة سنة، وحُفظ عنه في صغره مواقف كثيرة تدل على نبوغه وتقدمه، وتفرس الناس فيه خيرًا كثيرًا، وكان الأمر كما ظُن فيه –رحمه الله–، فقد برع في كافة العلوم، برع في جميع العلوم، وجمع –رحمه الله– بين خِلال كثيرة: بين العلم والعبادة والزهد والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في مواقف يطول ذكرها.

أما العلم فإنه لا يكاد فن من الفنون يخوض فيه إلا قيل: إنه الإمام فيه، لا نظير له.

وأما العبادة فقد ذكر ابن القيم وابن عبد الهادي من تلاميذه وغيرهما من تألهه لله تعالى وتنسكه وإقباله على ربه والتضرع إليه شيئًا عظيمًا، قال ابن القيم: كان شيخنا يجلس بعد صلاة الفجر في مصلاه حتى يرتفع الضحى، يتضرع إلى الله ويبتهل ويذكره كثيرًا، ثم يقول: هذه غدوتي، ولولاها لانهدمت. يعني هذا غذاء روحه الذي يمده بالثبات.

وأيضًا كان عظيم التعلق بالقرآن العظيم والتدبر لآياته، فلهذا سدد الله رأيه وقوله ببركة اعتصامه بالكتاب والسنة، وكان أيضًا إلى جانب ذلك أمارًا بالمعروف نهاء عن المنكر، فكان في الوقت الذي يفر فيه نائب السلطنة عن دمشق كان يقوم هو وأصحابه فيكسرون الخمارات ويحلقون رؤوس الصبيان ويضبطون الأمن في دمشق، كما أنه كان من المجاهدين في سبيل الله، فقد كان له دور كبير في جهاد التتار وردهم وتثبيت المؤمنين في دمشق، حتى عصم الله دمشق من إفساد التتار بعد أن أفسدوا بغداد، فكان يمر على الجند وهم على أسوار دمشق ويثبتهم ويحلف لهم أنهم سيُنصرون، حتى إنهم كانوا يقولون له: قل: إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله، تحقيقًا لا تعليقًا. لثقته بالله عز وجل، وأفتاهم بالفطر في رمضان تقويًا على الجهاد، وكان له موقف مشهور مع قازان ملك التتار، لما همّ أن يهاجم دمشق، فخرج مع ثلة من علماء دمشق وقاموا معه، فجلس يخاطب قازان بصوت جهوري ويؤنبه

---

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

تأنيبًا حتى كان بعض أصحابه...[1] أما أصحابه الذين قدموا معه فأبوا أن يصحبوه في طريق العودة، خشوا أن يرسل خلفهم من يستأصلهم، وأما شيخ الإسلام فقد سار في ركابه أمراء التتار الذين اعتنقوا الإسلام تعظيمًا له وتقديرًا حتى بلغوا به دمشق.

وكان له أيضًا مع النُصيرية الباطنية مواقف، فإنه قد قاتلهم في موقعة شقحب مع جند المسلمين، أنزلهم من الجبال التي كانوا يأوون إليها، التي تسمى حاليًا بجبال العلويين في اللاذقية وغيرها، واستتاب بعضهم، وفرقهم في الأمصار.

وكذلك كان له في تثبيت المسلمين في قتال التتار بعد ذلك في مصر ما يُحمد له، ولذلك كان إمامًا في جميع الأمور، غير أن الأمر الذي سبق إليه وصار مفرق طريق في حياة المسلمين وعلامة بارزة في الخط العقدي في تاريخ الأمة هو إحياؤه لمذهب السلف، فإن الحالة العلمية التي كانت سائدة زمن شيخ الإسلام ابن تيمية كانت هي طغيان المذهب الأشعري على بلاد المسلمين، وذلك أن الملوك الأيوبيين قد اعتنقوا عقيدة الأشعري ومن جاء بعده، وألزموا الناس بها، كما كان أيضًا الموحدون في المغرب قد اعتنقوا عقيدة ابن تومرت وألزموا بها الناس في ذلك الوقت، وذكر هذا المقريزي، ذكر أنه لله كم أُزهقت من أرواح وسُفكت من دماء في سبيل ذلك، فكان الناس قد استقر عندهم مذهب الصفاتية في تأويل الصفات وغيرها، كما كانت الطرق الصوفية أيضًا فاشية قد ضربت أطنابها في عامة المسلمين، وكثرت الطرق والبدع والدعاوى العريضة في ذلك الزمان.

أيضًا بلغ التعصب المذهبي أوجه في ذلك الوقت، وصار المسلمون أربعة أصناف في البلد الواحد: قاضي قضاة المالكية، وقاضي قضاة الحنابلة، وقاضي قضاة الحنفية، وقاضي قضاة الشافعية، حتى كأنما هم أربع ملل ، كل هذه الأمور كانت مصاحبة للحقبة التي عاش فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، ومع ذلك فإنه قام لله تعالى قومة صادقة جمعت بين العدل والعلم والرفق، ولم ينبذ أحدًا من المسلمين أو يسع في تكفيره أو أذيته، بل إنه كان جامعًا بين العلم والعدل وطاعة ولاة الأمر وتعظيم قضاة المسلمين والشفقة عليهم، في مواقف يطول ذكرها، لما سعى به خصومه عند ملوك مصر ليوقعوا عليه التعزير البالغ الذي يعني عند فقهاء المالكية القتل، وبذلوا في ذلك جهدهم، ثم تمكن بعد ذلك وكتب الله له قبولًا، واستشاره الناصر قلاوون في أن ينتصف له منهم، جعل يسكِّنه عليهم وقال: أيها الملك: أيها السلطان: هؤلاء فقهاء الملة، وقضاة مملكتك، ولا غنى لك عنهم. وأخذ يسكِّنه عليهم، مع أنهم سعوا في قتله، ولما أتاه ابن القيم يبشره بموت أحد كبار مخالفيه غضب عليه وقال: تبشرني بموت مسلم؟!. ثم قال: قم بنا إلى أهله. فذهب إليهم وعزاهم فيه وطيَّب نفوسهم ومسح على رؤوس صبيانهم وقال: أنا خلف لكم من أبيكم. هكذا كانت أخلاق العلماء، بل إنه –رحمه الله– لما أُقيم من مجلس المحاققة الذي عُقد له في بلاد مصر، قام مغضبًا، وطفق أخوه شرف الدين يدعو عليهم، فقال: لا تدعو عليهم بل ادع لهم أن يهديهم الله إلى الحق.

إن الناظر في سيرته يجد عجبًا، ويجد أنموذجًا للعالم الرباني الذي ينبغي لكل طالب علم أن يتمثله وهو يواجه التغيرات المختلفة في حال الناس، فيقوم في قلبه من النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ما يمنعه من الانتصار لنفسه، بل يجعل الانتصار لدين الله عز وجل مقدمًا على كل شيء.

وكانت وفاته سنة سبعمائة وثمان وعشرين للهجرة، توفي حبيسًا في قلعة دمشق –فك الله أسرها من أيدي هؤلاء النُصيرية–، وكان مدة حبسه في القلعة مقبلًا على القرآن العظيم، حتى إنه لما أُدخل القلعة وأُوصد الباب تلا قول الله تعالى: (**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ**

---

([1]) انقطاع في الملف الصوتي.

**لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ)** (الحديد: ١٣)، ولما وُضع في سجنه كان بين يديه بادئ الأمر صحف وأقلام يكتب بها، ثم رُفعت منه وأُخذت، فطفق يتدبر القرآن، فقال: لقد فتح الله عليّ في هذه القلعة من أبواب العلم ما مات كثير من الأكابر وهم يتمنونه، ووالله لو ملأت لهم –يقصدون الذين سعوا ووشوا فيه– هذه القلعة ذهبًا وفضة ما كافأتهم على ما ساقوا لي من الخير. وهذا مصداق قول النبيﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»

وكذلك كان يقول فيما نقله عنه ابن القيم وذكره ابن رجب في طبقاته: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبُستاني في صدري، أنَّى رحت فهي معي لا تفارقني، أنا سجني خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة، فما يصنع أعدائي بي؟. وصدق –رحمه الله– لا تجد المؤمن إلا طيب النفس، مهما ادلهمت الخطوب وضاقت السبل إلا أن في اعتصامه بالله عز وجل وثقته بربه ما يقلب المحنة إلى منحة، والنقمة إلى نعمة، وينبغي لطالب العلم أن يتأمل في هذا تمامًا لكي ينتفع من سير أعلام النبلاء.

وقد أثنى عليه معاصروه ومن بعدهم بأقوال صادقة، فمن ذلك ما قاله مؤرخ الإسلام الذهبي: "وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت من بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا والله هو ما رأى مثل نفسه في العلم".

وقال المزي: "ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه".

وقال ابن الزملكاني: "كان إذا سُئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحدًا لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم بما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يُعرف أنه نوظر فانقطع، ولا تكلم في علم من العلوم سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين".

بل حتى مخالفيه . تاج الدين السبكي مع أنه من مخالفيه . قال في مكاتبة جرت بينه وبين الذهبي: "ووالله يا فلان: ما يُبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يُبعده هواه عن الحق بعد معرفته".

هذا بعض ما قيل فيه، وما أُلف فيه كثير، ومن أعظم ما أُلف في سيرته: الكواكب الدرية، لابن عبد الهادي، فقد جمع نبذًا من سيرته، والناظر في سيرته يدرك أنه أمام علم شامخ، فقد كان –فعلًا– مفرق طريق في حياة المسلمين، حتى قال بعض العلماء: إنه بعد ابن تيمية صار الناس على فريقين: إما تيمي، وإما غير تيمي. وهذا هو الواقع، فالآن لا تجد طلبة العلم في أي مكان إلا وهم ينسبون انفسهم إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ويجلونه ويقدرونه ويعظمون أقواله ويقدمون فتاويه، في الفروع أو في الأصول، ولا يجوز أن يقع هذا موقع التعصب، لكن الرجل وقف مسددًا ببركة تعظيمه للنصوص، فعلى طالب العلم أن ينتفع بهذه السيرة المباركة.

أما هذه الفتوى التي بين أيدينا فهي من أجل ما كتب، وكانت هذه الفتوى أيضًا مفرق طريق في حياته؛ إذ كان بعد هذه الفتوى نحا منحى كبيرًا في مواجهة أهل البدع، وانفتح له من العلوم في باب الفلسفة وعلوم الكلام ما لم يكن له من قبل، فقد كان الشق الأول من عمره في التبحر في الأصول وعلوم الكتاب والسنة، حتى ورده سؤال من حماة –المدينة الشامية المشهورة فك الله أسرها–، يسأله عن أحاديث الصفات، فاستعفى عن الجواب وأحال إلى غيره، فأبى السائلون إلا أن يكون الجواب منه، فكتب في قعدة بين الظهر والعصر هذه الفتوى، ولعل ما كتبه أولًا هو الفتوى الحموية الصغرى، ثم إنه بعد ذلك تجرد لبسطها وجمع النقول المتصلة بها حتى خرجت الفتوى الحموية الكبرى، وقع ذلك تقريبًا سنة ستمائة وثمان وتسعين، يعني قبل وفاته بثلاثين سنة، ولما

ألف الحموية الكبرى أحدثت دويًا هائلًا في بلاد الشام ومصر والعراق، إذ أن الشيخ نسف عروش الأشاعرة من أساسها، وبيّن أن ما يدعونه من اتباع السنة وتعظيم السلف على غير هدى من الله، وأن منهج السلف في باب الصفات هو **الإثبات والإقرار والإمرار**، لا ما يدعونه من التأويل والمجاز، وكذا قال في بقية أبواب الدين كالقدر والإيمان وغيرها، فكان عنده من الشجاعة الأدبية ما واجه به جميع هؤلاء المخالفين من المتكلمين، هذا على صعيد النُخب من القضاة والمدرسين والمحدثين في ذلك الزمان.

وأما أمام العامة: فوقف لأهل البدع من المتصوفة والخرافيين مواقف مشهودة، كان يفدي بنفسه، ومن ذلك ما وقع له مع دجاجلة البطائحية، وهم فرقة من الطريقة الرفاعية، حينما دخلوا دمشق وصاروا يدعون الكرامات وأنهم يدخلون في النار ولا يصيبهم شيء، وأن لهم أحوالًا ومقامات عند الله، يجلبون بذلك على الناس، فتكلم في ذلك شيخ الإسلام وبيّن أنهم يستعينون بالشياطين وأنهم ليسوا على سنة واتباع، ثم لما بلغهم مقالته حاصوا حيصة حمر الوحش، وقالوا: نحن ندخل في النار، ونتحداك أن تدخل في النار. قال: أنا أدخل في النار كما تدخلون، فإن الذي ينصر ملة إبراهيم ينجيه الله من النار كما نجا إبراهيم. قالوا: تفعل. قال: أفعل. وقد علم أن القوم إنما يفعلون ذلك بنوع حيلة يلبسون بها على العموم، يطلون أجسادهم بشيء من الطلاء ثم يظهرون أنهم يدخلون في النار ويخرجون منها لا تصيبهم، فيندهش الناس ويتعجبون ويعتقدون فيهم الولاية ويبذلون لهم الأموال ونحو هذا، فقال: موعدكم غدًا كذا وكذا، نوقد نارًا، وأشترط أن يغسل كل منا جسمه بكذا وكذا من المنظفات القوية التي لا تُبقي شيئًا. وأتى إليه العلماء، وأتى إليه نائب السلطنة وحاولوا أن يثنوه وقالوا له: هؤلاء يستعينون بالشياطين. فقال كلمته المشهورة: إن الذي ينصر ملة إبراهيم ينجيه الله من النار كما نجا إبراهيم. فبات ليلته قرير العين، فلما كان الغد وأتى الموعد المتفق عليه انهزم البطائحية وأظهروا التمسكن وأنهم يدخلون في الطاعة ويتوبون مما فعلوا، فكانت –ولله الحمد– الدائرة والغلبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، بل للسنة النبوية.

فشيخنا شيخ الإسلام شيخ المسلمين كان له أثر بليغ في إعادته هذه الأمة إلى رشدها وإلى الطريقة التي كان عليها السلف الصالح، ولهذا لا يُبغضه إلا ضال مبتدع قد تنكب طريق السلف واختار طريق الخلف، ولا يحبه إلا صاحب سنة يريد أن تعود هذه الأمة إلى ما كانت عليه، وعلى أي حال فالكلام في شخصه وسيرته ومؤلفاته يطول، فأُحيل إخواني وأبنائي –وفقهم الله– إلى النظر في سيرته فيما كتبه عنه ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة، وما كتبه ابن كثير وهو من أصحابه وتلاميذه، وما كتبه الذهبي وغيره من العلماء الذين أنصفوه وقالوا فيه كلمة حق، وأما شانئوه فكثير، قال الله عز وجل: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا } [الفرقان: ٣١]،فإذا كان الأنبياء لهم أعداء، فأتباع الأنبياء من باب أولى أن يكون لهم أعداء.

وهذه الفتوى لها تسميات كثيرة، نحو سبع تسميات، لكن كل هذه التسميات لا بد أن تتضمن لفظ: الحموية، المسألة الحموية، المسائل الحموية، الحموية الكبرى، العقيدة الحموية، الرسالة الحموية، وهذا كله –والله أعلم– من وضع النُساخ، وأما الشيخ فكان على طريقته، يأتي إليه السؤال، فيحرر الجواب، فيشتهر بأسماء الجهة التي صدر منها السؤال، كما في التدمرية والواسطية وغيرها، فالنسبة المتفق عليها: الحموية.

فنستعين بالله عز وجل على قراءتها، وهي بشكل عام تتضمن تقرير مذهب السلف مدعمًا معززًا بالنقول التي تقطع أدنى شبهة في أن طريق السلف **هو الإثبات والإقرار والإمرار، لا التأويل ولا التشبيه**، فقد ساق الشيخ من كلام الأئمة المتقدمين، حتى إنه

ربما بلغ عدد المصادر التي رجع إليها الشيخ في هذه الفتوى أربعين مرجعًا رجع إليه الشيخ، ونقل كلام الأئمة من أصولهم، وقد كان علماء زمانه يجهّلون الناس ويوهمونه بأن طريقة السلف هي التأويل الإجمال، وأن طريقة الخلف هي التأويل التفصيلي، وأن السلف كانوا لا يتكلمون في باب الأسماء والصفات ويفوضون المعاني إلى الله عز وجل، فجاء ليثبت أن السلف كانوا يعون ويفقهون ما أخبرهم به ربهم سبحانه وتعالى ونبيهم ﷺ ويثبتون المعاني ويفوضون الكيفية، ورفع عنهم مذمة التجهيل التي وصمهم بها هؤلاء الخلف، فسنجد في مطاوي هذه الرسالة من النقول التي تبرق كالشمس ما يدل على أن مذهب السلف هو الإثبات لا سواه من المذاهب الرديئة.

**المتن: سُئِلَ شَيْخُ اَلْإِسْلَامِ أَبُو اَلْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ: وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَجَرَى بِسَبَبِ هَذَا اَلْجَوَابِ أُمُورٌ وَمِحَنٌ، وَهُوَ جَوَابٌ عَظِيمُ اَلنَّفْعِ جِدًّا. فَقَالَ اَلسَّائِلُ:**

**مَا قَوْلُكُمْ فِي آيَاتِ اَلصِّفَاتِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الفرقان: ٥٩] {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} [فصلت: ١١]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ اَلْآيَاتِ وَأَحَادِيثِ اَلصِّفَاتِ كَقَوْلِهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اَلرَّحْمَنِ " وَقَوْلِهِ : "يَضَعُ اَلْجَبَّارُ قَدَمَهُ فِي اَلنَّارِ". إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ اَلْأَحَادِيثِ، وَمَا قَالَتْ اَلْعُلَمَاءُ وَابْسُطُوا اَلْقَوْلَ فِي ذَلِكَ مَأْجُورِينَ إِنْ شَاءَ اَللَّهُ تَعَالَى.**

**الشرح:**

هذه صورة السؤال، وهو سؤال واضح بيّن يسأل عن مسائل الصفات، وقد مثّل لها بآيات وأحاديث، فاختار منها آيات الاستواء، مثل قوله تعالى: (**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**) (الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤) (**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**) (فصلت: ١١)، وهذا من أكثر المسائل التي جرى فيها خُلف، وقام أهل التأويل أي التحريف المذموم بتأويل الاستواء لله بالاستيلاء، وكذلك أحاديث الصفات التي يسمونها: الأحاديث المشكلة، وهي ما يتعلق بالصفات الخبرية والصفات الفعلية، مثل حديث: (**إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**)، وهذا الحديث صحيح رواه الإمام مسلم، وحديث: (**يضع الجبار قدمه في النار فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط**)، وهذا حديث متفق عليه، فمثّل السائل بجنس من آية، وحديث، ليبين مراده.

المتن:

**فَأَجَابَ: اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ، قَوْلُنَا فِيهَا مَا قَالَهُ اَللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ وَالسَّابِقُونَ اَلْأَوَّلُونَ مِنْ اَلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَاَلَّذِينَ اِتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَمَا قَالَهُ أَئِمَّةُ اَلْهُدَى بَعْدَ هَؤُلَاءِ اَلَّذِينَ أَجْمَعَ اَلْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهَذَا هُوَ اَلْوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِ اَلْخَلْقِ فِي هَذَا اَلْبَابِ وَغَيْرِهِ، فَإِنَّ اَللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ اَلْحَقِّ لِيُخْرِجَ اَلنَّاسَ مِنْ اَلظُّلُمَاتِ إِلَى اَلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ اَلْعَزِيزِ اَلْحَمِيدِ، وَشَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ بَعَثَهُ دَاعِيًا إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} [يوسف: ١٠٨].**

**فَمِنْ اَلْمُحَالِ فِي اَلْعَقْلِ وَالدِّينِ أَنْ يَكُونَ اَلسِّرَاجُ اَلْمُنِيرُ اَلَّذِي أَخْرَجَ اَللَّهُ بِهِ اَلنَّاسَ مِنْ اَلظُّلُمَاتِ إِلَى اَلنُّورِ، وَأَنْزَلَ مَعَهُ اَلْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ اَلنَّاسِ فِيمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ، وَأَمَرَ اَلنَّاسَ أَنْ يَرُدُّوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ مِنْ دِينِهِمْ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنْ**

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ

**اَلْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى اَللَّهِ وَإِلَى سَبِيلِهِ بِإِذْنِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَكْمَلَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ دِينَهُمْ وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ–مُحَالٌ مَعَ هَذَا وَغَيْرِهِ– أَنْ يَكُونَ قَدْ تَرَكَ بَابَ اَلْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْعِلْمِ بِهِ مُلْتَبِسًا مُشْتَبَهًا، فَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنْ اَلْأَسْمَاءِ اَلْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ اَلْعُلْيَا، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ.**

**فَإِنَّ مَعْرِفَةَ هَذَا أَصْلُ اَلدِّينِ، وَأَسَاسُ اَلْهِدَايَةِ، وَأَفْضَلُ مَا اكْتَسَبَتْهُ اَلْقُلُوبُ، وَحَصَّلَتْهُ اَلنُّفُوسُ، وَأَدْرَكَتْهُ اَلْعُقُولُ، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ اَلْكِتَابُ، وَذَلِكَ اَلرَّسُولُ وَأَفْضَلُ خَلْقِ اَللَّهِ بَعْدَ اَلنَّبِيِّينَ لَمْ يُحْكِمُوا هَذَا اَلْبَابَ اِعْتِقَادًا وَقَوْلًا!.**

**وَمِنْ اَلْمُحَالِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ اَلنَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى اَلْخِرَاءَةَ، وَقَالَ ( تَرَكْتُكُمْ عَلَى اَلْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ) وَقَالَ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ أَيْضًا (مَا بَعَثَ اَللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرِّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ)**

**وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ (لَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ وَمَا مِنْ طَائِرٍ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي اَلسَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ مِنْهُ عِلْمًا).**

**وَقَالَ عُمَرُ بْنُ اَلْخَطَّابِ ﷺ (قَامَ فِينَا رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ مَقَامًا فَذَكَرَ بَدْءَ اَلْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ اَلْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ وَأَهْلُ اَلنَّارِ مَنَازِلَهُمْ، وَحَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ) رَوَاهُ اَلْبُخَارِيُّ.**

## الشرح:

بيّن الشيخ أصلًا عظيمًا فيما يجب على كل مؤمن، وهو أن يقول ما قاله الله ورسوله، ويثبت ما أثبته الله ورسوله، ولا يحيد عن ذلك قيد أنملة، وأن الله سبحانه وتعالى قد بعث نبيه ﷺ بأمرين: بالهدى ودين الحق، فأما الهدى فإنه العلم النافع، وأما دين الحق فإنه العمل الصالح، ووصف نبيه ﷺ بأنه سراج منير، وأن سبيله سبيل واضح: **(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ)** (يوسف: ١٠٨)، قرر الشيخ بناء على هذه المقدمات استحالة أن يكون النبي ﷺ أهمل تعليم أمته أشرف أبواب الدين، وهو باب العلم بالله، وذلك أن شرف العلم متوقف على شرف المعلوم، والله تعالى أشرف معلوم، فالعلم به هو أشرف أنواع العلوم، وبناء عليه فإنه يستحيل أن يكون النبي ﷺ أهمل تعليم أمته هذا الباب، أعني باب الأسماء والصفات، والمخالفون لا يستطيعون الجهر بهذه الجملة، بأن يقولوا: إن النبي ﷺ أهمل تعليم أمته هذا الباب. لكنهم في واقع الأمر مآلات قولهم تُفضي إلى ذلك، لأن المخالفين في هذا الباب صنفان:

الصنف الأول: أهل التحريف الذين يسمون أنفسهم: أهل التأويل.

الصنف الثاني: أهل التجهيل الذين يسمون أنفسهم: أهل التفويض.

**أما أهل التحريف الذين يسمون أنفسهم: أهل التأويل، فإنهم يقولون: إن النبي ﷺ قد أخبر أمته بآيات الصفات وأحاديثها ولكنه لم يبين ﷺ ما هو المعنى المراد؟** وكان لزامًا علينا أن نجتهد ونبتكر ما يكون لائقًا بحملها عليه، فهي ليست على ظاهرها الذي تدل عليه لغة العرب، وإنما هي على خلاف الظاهر، ولا يستقيم حملها على الظاهر، لذلك كان لزامًا أن نبحث عن بعض المعاني المجازية التي تليق بالله تعالى، ونُعين المراد اجتهادًا دون أثارة من علم أو بينة، لكن اجتهاد.

**وأهل التجهيل الذين قالوا: إن النبي ﷺ لم يعين المراد منها، ولا سبيل للعلم بالمراد منها، بل الواجب علينا أن نثبت ألفاظها ونَكِل معانيها إلى الله تعالى**، فلا نقول في ذلك شيئًا، بل نقول: الله أعلم بمراده، ونكتفي بقراءة الأحاديث والآيات دون تعيين المراد.

فأنت إذا تأملت وجدت أن كلا الفريقين مجمع على أن النبي ﷺ لم يعلم أمته معنى ما أخبر الله تعالى به عن نفسه في كتابه، أو أخبر النبي ﷺ أمته به، كلاهما متفق على هذا القدر، وفرق ما بينهما أن أهل التأويل عينوا المراد من تلقاء أنفسهم، زعمًا منهم أنهم بذلك يقطعون الطريق على أهل التمثيل كما يقولون وأن يثبتوها على ظاهره، وأما أهل التجهيل . أي أهل التفويض كما يسمون أنفسهم . فإنهم جزموا بأن النبي ﷺ لا يعلم معاني ما أخبر الله به عن نفسه، أو مافاه هو به ﷺ، فضلًا عن الصحابة والتابعين وغيرهم، فالواقع أن كلا الفريقين يقول: إن النبي ﷺ أهمل تعليم أمته هذا الباب باب العلم بالله، وترك هذا الأمر مرسلًا، هذه حقيقة الأمر، لا انفكاك لهم عنها، ولهذا أسس الشيخ هذه الرسالة على نقض هذا الأصل الفاسد وبيان أنه يستحيل أن يكون النبي ﷺ أهمل تعليم أمته هذا الباب، وذلك من عدة وجوه ذكرها:

الوجه الأول: أنه لا يمكن أن يكون النبي ﷺ قد ترك هذا الباب الذي هو أشرف أبواب الدين وخلاصة دعوة المرسلين ملتبسًا ملغزًا أشبه بالأحاجي، والله تعالى قد وصفه بأنه سراج منير، وأنه أنزل إليه الكتاب والحكمة، وأنه مأمور أن يبين للناس ما نُزل إليهم ويوضحه.

الوجه الثاني: أن معرفة باب العلم بالله هو أصل الدين وبه حياة القلوب، وهو أفضل ما اكتسبته القلوب ونالته العقول، فلا يمكن أن يهمله النبي ﷺ ويشتغل بغيره ويدعه، فإذا كان النبي ﷺ قد علَّم أمته كل ما تحتاج إليه، حتى –أكرمكم الله– الخراءة، كما قال الرجل الفارسي لسلمان: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة. قال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو عظم. رواه مسلم، وهذا يدل على أن النبي ﷺ لم يدع شاذة ولا فاذة من مسائل الدين إلا وبيّنها، فكيف يُعقل أن يكون ترك هذا الباب مهملًا دون تعيين؟ وهذا أثر أبي ذر صريح في استيفاء النبي ﷺ لجميع العلوم، فقال: لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ترك لنا منه علمًا. مراده به أن النبي ﷺ قد علمهم جميع ما يحتاجون إليه، فكيف يخبرهم بذلك ولا يخبرهم بأعظم الأبواب وهو باب العلم بالله سبحانه وتعالى، وكذا الحديث الصحيح: (**تركتكم على البيضاء**)، ربما وُجد في بعض النسخ: (**المحجة**)، والصحيح أن لفظ: (**المحجة**): لم يثبت في أي من الطرق، لا في هذا الحديث ولا في غيره، وإنما يقول النبي ﷺ: (**تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**)، وهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد، وكذلك ما استدل به بعده: (**ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم**)، وهذا قد رواه مسلم، وكذا أثر عمر: قام فينا رسول الله ﷺ وقد رواه البخاري كما ذكر المصنف.

تبين بهذا –يا إخواننا الكرام ومن بلغ– أن نبينا ﷺ يستحيل أن يكون أهمل باب العلم بالله تعالى دون بيان، أو أنه أبقاه ملتبسًا وتركه لاجتهادات المتأخرين لكي ينحتوا المعاني المجازية ويضعوها بدائل عما أخبر الله به ورسوله ﷺ.